

إرهاصات الطب النفسي الإيقاعية التطورية.

منذ نصف قرن 1968 :

مقتطفات من كتابه "عندما يتعري الإنسان"

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD280517.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/05/28
السنة العاشرة - العدد: 3557



مقدمة:

أنهيت حلقة أمس باستدراك من خارج النص أوصى فيه بالانتظار إلى الغد (اليوم)، لمن شاء أن يتابع صبر الطبيب، إلا أنني بمراجعة ما سبق نشره وجدت أن الأمر يحتاج إلى الانتقال إلى حكاية أخرى لتؤكد ما نرجوه من موقف الطبيب ونأمله فيه.

من حكاية :

“كبيرهم”

قال الفتى:

– قد علمت هذا المثل فحدثني عن “خدعة المال”.. فقد خيل إلى أحياناً أنك تتناساها عمداً.

قال الحكيم :

– وكأنك تقرأ أفكارى... فقد كدنا نصل إلى كبير الأصنام الذى ألصق به سيدنا ابراهيم تهمة أنه حطم باقى الأصنام.. حين سأله عن المسئول عن تحطيم الأصنام.. تحطم هو ذاته.

قال الفتى:

– وكيف كان ذلك؟

مقتطفات من حكاية “كبيرهم”

قال الحكيم:

– جاءنى شيخاً متهاكلاً لا يكاد يقوى على المسير، وعلاج الشيخ عندى مشكلة ليس لها علاج، ولى من الزملاء من يتقن هذا النوع من التطبيب، وله فى ذلك فلسفة هادفة، إنسانية وكريمة، أنا أشفق على الشيخ حين يتحطم وأسير بجواره يتكىء علىّ كما يتكىء على عصاه حتى يأذن الله فى أمره، ولكنى لا أعتبر ذلك علاجاً بالمعنى الذى أمارسه، فالعلاج عندى هو التحول والثورة والطفرة وإعادة البناء والتجديد والاستمرار، ولكن هذا الشيخ بالذات كان شاباً فى ثورته، وإن كنت غير واثق ماذا يفعل به الغد.

قال الفتى:

– وهل للثورة ميعاد وتوقيت؟

قال الحكيم:

– الثورة هى الشباب، وهى تبدأ بالرؤية الحادة الأمينة، والرفض والسخط والاحتجاج، ولكنها ليست ثورة ما لم يصبح الرفض فعلاً، والسخط مسئولية، والاحتجاج تغييراً.

قال الفتى :

– ولكنك تقول أن هذا الشيخ كان شاباً فى ثورته.



جاءنى شيخاً متهاكلاً لا يكاد يقوى على المسير، وعلاج الشيخ عندى مشكلة ليس لها علاج

العلاج عندى هو التحول والثورة والطفرة وإعادة البناء والتجديد والاستمرار،

قال الحكيم :

=عندك حق، خطأتى يا فتى، كان ينبغي أن أقول أن هذا الشيخ كان شاباً فى رؤيته لا فى ثورته، لأن الثورة شىء، ولكن الرؤية دون ثورة هى ألم الضياع وإفزاعه، وربما كان هذا السبب هو الذى يجعلنى أتردد أمام علاج ثورة الشيوخ الشباب، فكم بقى لهم فى العمر حتى يجعلنى أعرضهم لآلام المخاض، وكم فى الغد ينتظر بعد طول الخداع، أنا أشفق عليهم، وقد أحاول أن أساعدهم فى إغماض عيونهم حتى لا يمارسون ألم الرؤية بلا فاعلية، وقسوة الصحوه بلا مسيرة، وانهيار القديم بلا بديل.

قال الفتى:

- ومع ذلك تحكى لى قصة صديقك الشيخ من ضمن حكاياتك التى تعلمنى بها الحكمة.

قال الحكيم:

=أنا أحكى لك ولا أحكى له، أنا أتكلم عن الشيوخ للشباب، ولكنى لا أستبعد وجود شيخ نائر يستطيع الاستمرار، على أن يكون قد بدأ المسيرة من زمان

.....

قال الفتى:

-لن ينته النقاش.. فحدثنى عن كبير الأصنام، الذى حطم كل القيم زائفة أم حقيقية - ثم تحطم.

قال الحكيم:

= جاغنى شيخاً متهاكاً انطفاً فيه كل شىء، لونه أقرب إلى الزرقة، وعيناه كقطعة من حجر الجبر، وذقنه فى صدره، وبقايا شعره نافرة على صلغته مثل الشعيرات المتناثرة على كوز ذرة جاف فى يوم قانظ.

قلت:

= أهلا

فارتفع حاجباه واهتزازاً، ولم يرد.

قلت:

=ليس بعد.

وانتبه أكثر.

قلت:

=ربما

قال:

=ماذا؟

قلت:

=أهلا.

قال:

=بكم؟؟!!

وبعد معلومات سريعة وهامة وعقاير عظيمة وفاعلة، وأيام مظلمة وصبر وإحاح، ضغط على بدى ذات يوم وقد تراجع العقاقير، واصلتني الرسالة وهو يصفحني، فشجعتني أن نفتح الملف.

قلت له:

=وبعد، ما هى الحكاية الآن .

قال :

-هى حكاية النهاية قبل البداية، فى الوقت الذى كنت أحسب أنى اقتربت من بداية النهاية لأستمع

هذا الشيخ بالذات كان شاباً
فى ثورته. وإن كنت خير
واثق ماذا يجعل به الغد.

الثورة هى الشباب، وهى
تبدأ بالرؤية الحادة الأمينه،
والرفض والسخط والاحتجاج،
ولكنها ليست ثورة ما لم يصعب
الرفض فعلاً، والسخط مسئولية،
والاحتجاج تغييراً

بكل ما كان، جاءت النهاية فجأة وبغير حساب، كل شيء عندي هو بالحساب، بدأت عصاميا وحسبتها ونجحت، لم تخب حساباتي أبدا، ولكني لم أضع ما حدث هذا في الحساب، كنت دائما أؤجل البداية حتى جاءت النهاية قبل البداية، هل تفهم؟

قلت:

=أسمع.. وأحاول..

قال:

—ولكن الكلام متعب.. الذكريات تمر بفكرى بالرغم منى، أريد أن أنسى ولا أستطيع، ألا يكفى ما حققنا بالعاقير،.. لقد أصبحت أنام أحسن، ومعدتى تتقبل بعض الطعام، وتتحرك أصابعى على مسبحتى ربما تحاول أن تذكر الله أو تستغفر، أو هى تجذب انتباهى بعيدا عن أفكارى، ألا يكفى هذا وشكرا.

قلت:

=لا شكر على واجب.

قال:

—إذن فهو الواجب... وقد حسبتُ أنى وجدت من يفهمنى، أنت تفعل الواجب فحسب، سواء كان من أمامك إنسان أم جماد، فى الأول حسبت أن الأمر غير ذلك، حسبت أنها رسالة وليست واجبا.

قلت:

=ولكن الواجب ليس مفروضا من الخارج، الواجب اختيار أصلا، وأنا اخترت أن أكون بجوارك، ومن واجبى على نفسى أن أعيش إنسانا مع من يلجأ لى من بنى نوعى هذا ما عنيتة فلا داعى للشكر.

قال:

—لا أستطيع أن أكتفى بهذا التحسن وأسكت، لا أستطيع أن أعيش مع أفكارى وحدى، أنا فى حاجة إلى إنسان يسمعنى حتى ولو لم يصنع لى شيئا، أريد إنسانا يفهمنى من وجهة نظر أخرى، أنا لا أجد من يفهم، كلما حكيت عن النجاح انبهروا بما حققت ونسؤنى تماما، وربما هزأوا بى وشكوا فى عقلى، أو ربما تصوروا أنى طماع لا أحمد النعمة وكل منهم يقول "ما أغباه هذا الساخط، فليعطنا ثروته وسوف يرى على وجوهنا السعادة التى يفتقدها، سوف نعلمه كيف يعيش..." وترتفع الحواجب وتمصص الشفاة وينحبس الكلام فى حلقى، فهل أنت مثلهم.

قلت:

=ماذا وجدت؟

قال:

• وجدتك مختلفا ولو قليلا، ولكنى أخشى المنطق العام والسخرية، ثم إننى مرضتُ فمن حقى أن أتكلم بمنطق خاص ومن واجبك ألا تسخر، أمرى إلى الله.

=.....

•

•

=.....

(إلى أن قال:)

ولو كان الله أنى فى أمرى وأنا فى عنفوانى لمتُ مثال الناجحين المهرة. ولكن أن تموت قوتك الزائفة. قبل أن تموت خلاياك فهذا هو قمة الألم والضياع، لا غد لى... ولا أمل فى... وذكريات الأمس أصبحت مصدرا للعذاب لامجالا للفخر.

قلت له :

=ولكنك أحسن.

جاءنى شيئا متماثلًا انطبا فيه
كل شيء، لونه أقرب إلى
الزرقة، ومبناه كقطعة من
حجر الجير، وذوقه فى صدره،
وبقايا شعره نافرة على صلته
مثل الشعيرات المتناثرة على
كوز ذرة جافة فى يوم قانط.

حسبتُ أنى وجدت من
يفهمنى، أنت تفعل الواجب
فحسب، سواء كان من أمامك
إنسان أم جماد، فى الأول
حسبت أن الأمر غير ذلك،
حسبت أنها رسالة وليست
واجبا

قال :

- عقاقيرك العظيمة تجعلنى أنام، ومعدتى تتقبل الطعام، ولكن الأمل راح إلى غير رجعة.

قلت :

= الأمل فى ماذا؟

قال:

- الأمل فى.. فى.. نعم فى ماذا؟ القرش وعندى منه الكثير، والحيوان فى مات فلا نساء، وأنا شخصياً لا أريد له صحوة، فكفى امتهاننا وذلاً، والناس عمرهم ما كانوا فى حياتى، ولكن.. عندك! هناك ما يشغلنى حتى أموت: التحف والفازات فى منزلى، أنا أعيش فى متحف نادر المثال، وأملى أن يحوى أندر ما فى العالم.

= لماذا؟

- لأصبح فريدا فى مقتنياتى.

= ولكنك مرضت وسط تحفك وفازاتك.

- وتربية نبات الصبار.. هى هواية نادرة تميزنى.

= ولكنك تمارسها من سنوات.

- ماذا تعنى؟

= أين الأمل الحقيقى الذى نواجه به المرض، مهنتى تقول أنه ينبغى ألا نفقد الأمل أبدا.

- ولكن الذى ينبغى شئ، والواقع شئ آخر.

= إذا فقدت الأمل.. فماذا يتبقى.

- إذن ماذا؟

= عمالك مازالوا عندك والأطفال يولدون كل يوم.

- وبعد؟

= أنت ذاهبٌ لا محالة.

- أفصح.. لم أعد أستطيع الانتظار.

= يكفيك حق المنفعة، بل وجزء منه أكثر من الكفاية.

- أتركُ مصنعي للغواغاء؟

= بعد عمر طويل.

- الانتحار أفضل من آرائك.

= مازال فى العمر بقية.

- ماذا تريد.

= تبدأ من سنة الفشل المزعوم.

- يعنى؟

- تعمل مؤسسة للذين لا يدخلون الجامعة يتقنون فيها فن التقارب العملى، ويتعلمون مهنة للحياة.

- تتصحنى بالبر والتقوى؟!.

= أفضل من المرض.

- المرض أفضل.. وعقاقيرك نجحت، فلنستمر عليها، لعلها تكفى.

= هى مرحلة.. ثم قد لا تفيد.

- تهددنى؟.

= أقول ما أعلم.

لو كان الله أخذنى أمرى وأنا فى محنوائى لِمَتُّ مثال الناجحين المصرة. ولكن أن تموت قوتك الزائفة. قبل أن تموت خلاياك فهذا هو قمة الألم والضيق. لا تحلى... ولا أمل فى... وذكريات الأمس أصبحت مصدرا للعذاب لاهبالا للخير

أين الأمل الحقيقى الذى نواجه به المرض، مهنتى تقول أنه ينبغى ألا نفقد الأمل أبدا.

- هذه نكسة بلا جدال.
- = هل عندك بديل؟
- دعنى.
- = حرامٌ عليك أن تستمر في الطريق الذى أشقاك.
- ولكنه أسعدنى.
- صحيح؟!؟
- أَرْضَانِي.
- = صحيح؟!؟ هل أنت متأكد؟
- أَنْجَحَنِي.
- = ثم ماذا؟!؟
- ثم جئتُ إليك.
- = فهو المرض.
- فليكن.
- = هل تفكر ثانية.
- أنت خبيث.. تريد أن تقلب أحوالى رأسا على عقب.
- = ألم تتقلب بعد؟!؟
- لا تحبى في الأمل حيث لا أمل.
- = الأمل موجود باستمرار.
- انتهى العمر.
- = مازال الأولاد يولدون.
- ليس لدى أطفال.
- = هذا ما تتصوره ، ليس بالضرورة أن ننجب نحن أطفالنا جدا.

*** **

المعجم " النفساني " في العلوم والطب

معجم المصطلحات الأساسية في علوم وطب النفس

إعداد نخبة من أبرز الأطباء وعلماء النفس العرب

المعجم " النفساني " على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=46&controller=category&id_lang=3

حليل المعجم " النفساني " (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=252&controller=product&id_lang=3

المعجم " النفساني " على شبكة علوم النفس العربية

مصطلحات الحرف الأول من " المَوْسَّع " العربي (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Ar.pdf>

مصطلحات الحرف الأول من " المَوْسَّع " الانكليزي (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Eng.pdf>

مصطلحات الحرف الأول من " المَوْسَّع " الفرنسي (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Fr.pdf>

المعجم " النفساني " على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/Dictionaries-Encyclopedias-20427753287741/>